



مسرح العبور إلى سيناء . .

الزمان . . (٦ أكتوبر) .

المكان . . سيناء .

يا لها من زمان ومكان ! . . جنود
مصر الباسلون يعبرون أكبر الموانع
الطبيعية ويحتازون أقوى الحصون
العسكرية ، ويستردون حرية الأرض
التي داسها أقدام الغاصبين ، ويحطمون
الأسطورة الفولاذية التي تسربل بها
جنود العدو ، ليكشفوا عما بداخلها من
أكياس محشوة بالرمل ، ويعلموهم
كيف تكون نهاية مخططهم التوسعي
القائم على التصفية والإرهاب ؟ وكيف
يكون الفارق بين قوة الإرادة وإرادة
القوة ، أو بين حربنا التحريرية التي
نخوضها من أجل السلام وحرهم
التدميرية التي لا تستهدف سوى
الحرب ؟

إن نداء قويًا هادرًا دوى في أعماق
جنودنا الأبطال ، يهيب بهم أن ينطلقوا

انطلاقة مصيرية ، بل انطلاقة كأنها القدر ، ليدشنوا بزجاجات الدم الطاهر أرض سيناء ، ويرفعوا راياتنا فوق تلك السهول والجبال والوديان ؛ لتعود فترتفع في النفوس والعقول والضمائر على جبهتي وجبهتك وجباه الجميع .

إن سبعة آلاف عام من الزمان تطل علينا في هذه الأيام ؛ لترى إنسان مصر وهو يحتلب ضرع التاريخ ؛ لكي يبذل دمه وروحه . . أشواقه وأحلامه من أجل أرضه الطيبة وشمسه المشرقة ونيله الجاري ، ومن أجل أن يرد اعتبار كل شيء كان قد فقد معناه ، ومن أجل أن يتصدى لغارة الهكسوس الجديدة ، التي تغطي صهوة الدبابات ، لتطلق قذائف الموت والحقد والكراهية في وجه أرباب الحياة .

حقاً . . لقد كانت الكلمة الفعل . . الكلمة الطلقة . . الكلمة العبور هي الوقود الحى لنيران المعركة ، وهى الصوت الأعلى من كل صوت . . أو الصوت الذى ألهم تصوراتنا وأخيلتنا بمعان جديدة . . وإذا كانت هذه التصورات والأخيلة لا تزال تلك النطفة في رحم المعركة - فإنها بدأت تغتذى بدم التضحية وعرق المقاومة ؛ لتولد في أتون الحرية ، وتنضج في حضن النصر .

إن الكلمة الصوت . . الكلمة الصورة . . والكلمة الرأى - تحاول جاهدة ومجاهدة أن ترتفع إلى مستوى الأحداث ؛ لكي تكون إمداداً فكرياً وفتياً في معركة التحرير ، وعملية إنزال من نوع آخر . . ترتدى خوذة القصة أو القصيدة أو المسرحية أو السيناريو . وإذا كان صوت المعركة الضارية في سيناء هو الذى أسكت أصوات موسى ديان ودافيد أليعازر وحاييم بارليف وأرييل شارون وباقي طاقم المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - فإن لواء مدرعاً من الشعراء والأدباء العرب يحاولون الآن أن يقوموا بدور الكوماندوز في إزالة ألغام الدعاية الإسرائيلية الكاذبة التى بثها الإعلام الصهيونى في عواصم العالم ، فضلاً عن دورهم الآخر في إسكات كل

مكبرات الصوت التي تنطلق منها كلمات العنصرية البغيضة والنازية السوداء ، والتي تقطر من روايات يائيل ديان وقصص يعقوب باسار وأشعار يهودا أمياهو ومسرحيات موشى شامير وغيرهم من طاقم المؤسسة الأدبية ممن يحشون بكتاباتهم مدافع المحارب الإسرائيلي ، فينطلق بقوة الدفع الذاتي إلى الميدان .

وكان من الطبيعي في مجال المسرح ، كما في كل مجال تعبيرى آخر - أن نعى هذا كله ، فلا تعلى خشبته إلا الكلمة الملائمة للطقس المعركى الذى تعبثه الجبهة الداخلية الواقفة وراء خطوط النار ، والذى يشكل الدعم الفنى بالنسبة إلى المجاهد الحرى . وهو ما جعل « هيئة المسرح » تسرع وتسارع إلى تغيير برنامجها المسرحى باستبعاد المسرحيات الكوميدية المتبقية من موسم الصيف ، واستعادة بعض المسرحيات التاريخية والوطنية التي ترتفع درجة حرارتها بما يلائم درجة غليان المعركة .

وكان « المسرح القومى » في طليعة تلك المسارح التي قامت بعملية الإنزال الفنى واضعة السونكى بدلاً من الإبرة فوق أسطوانة المسرح ، لتنطلق منها أصوات الإشادة بجميع القيم الحضارية والتاريخية في ضمير إنسان مصر العربى ، وهو ما تمثل في مسرحين « أقوى من الزمن » للكاتب الأديب يوسف السباعى والتي أخرجها نبيل الألفى ، ثم مسرحية « صلاح الدين » التي كتبها محمود شعبان وأخرجها كمال حسين .

ومن بعده جاء « المسرح الحديث » يحاول أن يستنبت من على طول ريف مصر تلك الأشعار التي تحكى عن الأرض . . الأم . . مصر ، وهى تقدم أبناءها قرباناً لكل معانى الحب . . والحياة . . والسلام ، والتي تمثلت في ديوان « الحلم في عز الضهر » لشاعر العامية زكى عمر الذى قدمه في إطار حماسى المخرج الصاعد

عبد الغفار عودة من خلال ألحان « فرقة النهار » التي يقودها الموسيقى الشاب محمد نوح .

ومن بعدهما راح « مسرح الطلبة » يعيد تقديم مسرحية « الغول » التي تصرخ صراخاً حاداً متواصلاً في وجه الاستعمار العالمي ، وتستصرخ القوى الوطنية في كل مكان كي تنفض بالأظفار والمخالب والأنياب على جسد ذلك الغول البشع حتى تردبه صريعاً . وهي في أصلها مسرحية « أنجولا » للكاتب المعاصر بيتر فايس التي صاغها بالشعر العامي فؤاد حداد ، وقام بإخراجها وبطولتها الفنان أحمد زكي مع ممثلي مسرح الطلبة .

واتساقاً مع هذا الطقس الفني العام ، واقتراباً مما يمكن أن يسمى بمسرح المعركة - استعاد « مسرح الطلبة » مسرحيته « أيوب الجديد » التي تتخذ من الملحمة الشعبية المعروفة « أيوب وناعسة » مادة قديمة لعمل جديد يدور حول معنى الصبر . الصبر . الذي كابده الإنسان المصري ، وعاناه على امتداد زمن طويل من تاريخه البعيد . . ذاق فيه ألوان الظلم وشاهد أشكال الظلام ، ولكنه عندما أحس أن الصبر وحده لا يكفي مقاومة الفساد الذي استشرى بطول الوادي وعرض الدلتا وعمق التاريخ - خلع عباءة الصبر وارتدى درع الثورة ، فكانت الثورة الوطنية الكبرى ١٩١٩ التي أرهصت بالثورة الاجتماعية الكبرى عام ١٩٥٢ إلى أن كانت ثورة التصحيح المجيدة في (١٥ مايو عام ١٩٧١) ، وما أدت إليه بعد ذلك من انتصارات أكدت للعالم كله أن الإنسان المصري الصابر قادر في ذات الوقت على الرفض والثورة وعلى تحقيق النصر .

وحول هذه الدلالة الرمزية لمعنى الصبر يكتب « أيوب » معناه الجديد ، ذلك المعنى الذي يربط بين الصبر والنصر ، وإرادة الصبر من أجل تحقيق النصر ، والذي

طرحه يوسف الخطاب في قسمين رئيسيين من المسرحية يتمددان عبر سبع (لوحات) ، وعرف كمال حسين كيف يحسّده فوق المسرح من خلال المزاجية بين الملحمة الشعبية من ناحية ، وواقعا المعاصر من ناحية أخرى .

وثمة عرضان مسرحيان يجمعان بين الشعر العامي والأداء الغنائي استطاعا بالفعل أن يشكلوا نوعاً من الاستجابة الفورية لصفارات الإنذار التي تعلن شن غاراتنا الفنية على روح العدو ، أحدهما بعنوان « في حب مصر » والآخر عنوانه « هنا القاهرة » .

أما العرض الأول فمجموعة من الأشعار لشاعر العامية سمير عبد الباقي متفقا من ديوانه « في حب مصر » . الذي كتبه بعرق الفلاحين في الأرض ، وجهد العمال في المصنع ، وأحلام التلاميذ في المدارس ، ودم المقاتلين في الجبهة ، وأحزان اللاجئين خلف الأسلاك الشائكة ، وأشواق كل أولئك الذين يتطلعون إلى غد أضيق مافيه يتسع لكل أشواق الإنسان . ويمزج الشاعر بين كل هذه القوى التي تناضل من أجل التقدم الاجتماعي ، وبين الوقوف في وجه شتى أشكال الاحتلال والاستعمار والقهر الخارجي ، فكلاهما وجهان لموقف واحد ، أو شطران في بيت شعري يحمى سنبلة القمح بطلقة المدفع ، وبسمة الطفل بروح الشهيد .

إيدك ع الزناد . . قلبك على المصانع

خلي ضحكك الولاد . . يغلب صوت المدافع

إيد ع البندقية . . قلبك على الغيطان

خلي عيون الصبية . . تحلم بيوم أمان

يابو العيون بيادر . . يابو الحوض الوسيم

تهون كل الخسائر . . لجل يعود الربيع

وترتفع درجة غليان هذه الأشعار التي تقول الكثير والكثير جداً في حب مصر ،
حتى نصل في النهاية إلى تلك المعاني الجميلة والجليلة معاً التي تصهر حرارة الحب
بنيران الحرب بحماسة الشعب ، كل هذا في بوتقة واحدة هي حياة الحرية أو حرية
الحياة :

ولا زى نيران الحب تطهر قلب وعقل الناس

ولا زى صوت الشعب يغلى الجند توج حماس

ولقد ساعد في إبراز تلك المعاني وتجسيد تلك الكلمات ألحان الفنان الشاب
« عدلى فخرى » الذى توخى البساطة في غنائه وأدائه فوصل سريعاً أو عميقاً إلى
قلوب كل الفئات ، عاونه في ذلك الإخراج البكر والطازج الذى حاوله المخرج
الشاب « سامى صلاح » مبتعداً عن زخارف الديكور والأعيب الإضاءة ، مقرباً
من أسلوب « المسرح العارى » الذى لا تكسوه سوى الكلمة الصادقة ، والحركة
البيطة ، والأداء الطبيعى ، وهو ما قام به شباب « جماعة الدراما » الذين جعلوا
العرض أشبه بالبيان الحربى الذى يمكن أن يلقى على الناس في كل مكان : في قاعة
تشايكوفسكى بالمركز الثقافى السوفييتى ، كما في وكالة الغورى بالثقافة الجماهيرية ، كما
في مستشفيات الجرحى ومراكز التدريب وساحات الميادين العامة .

أما العرض الآخر « هنا القاهرة » فيشبه الأول في اعتماده على مجموعة من
الأشعار للشاعر الشاب « عبد العزيز عبد الظاهر » صاغها على صورة نداءات هادرة
من فئات الشعب المختلفة . . من العمال والفلاحين . . من الطلاب والمهجرين . .
من الجنود والمتقنين . . من التجار والباعة (المتجولين) ، من كل أولئك وهؤلاء
الذين يؤمنون بضرورة الوقوف بذلاً وعطاء . . تضحية وفداء . . شهادة واستشهاداً
وراء الجبهة الباسلة التى تواجه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، وهى تقذف أراضيها

بصواريخ الحقد والكراهية ، وقذائف الابتزاز العنصرى والإرهاب النازى .

ياسعيد الحظ فى خط النار

أنا واقف زنهـار

وبعد إيديا فى عين الشمس أكر الحيط

وأغزل من خيط الشمس نهـار

ويمضى ذلك الفيلق البشرى فى نشيده وغنائه مدركاً عميق الإدراك خطورة
النضال الذى ناضله الجندى المصرى العظيم ، من أجل إنزال العدو الإسرائيلى من
فوق أبراج دباباته ، وتحطيم خوذته الفولاذية التى ظلمها هدد بها أمن المسلمين
لا المستسلمين من العرب جميعاً :

مبروك إنك عديت

أثبت بأنك أسطى صحيح

صلحت العطل فى مكن الريح

ونمضى هذه النداءات الشاعرة أو الأشعار المنادية بحققنا فى النصر على ألحان
« على سعد » التى تدرجت من المليوديا الغنائية إلى الحماسة الموسيقية إلى الأناشيد
المهادرة معتمدة فى الكثير من ذلك كله على أداء الممثلة الصاعدة باستمرار « سهير
طله حسين » فضلاً عن الإخراج الواعى الذى قام به المخرج الشاب عبد الرحمن
الشافعى سواء فى قدرته على تحريك الجماهير تلك الحركة التشكيلية البارعة ، أو فى
تغليف العرض بطابع « الريورتاج المسرحى » الذى يواكب مسرح المعركة ، والذى
جعل من « مسرح الصامر » قاعدة لإطلاق الفن المسرحى ، القادر على تعبئة
الجماهير .

إنه مهما كان من سلبيات هذا العرض أو ذاك - فإن الذي يحسب لهذه العروض جميعاً هو قدرتها على العبور من مسرح التأوهات إلى مسرح الصرخات ، ومن مسرح النواح إلى المسرح المدجج بالسلاح ، ومن مسرح الثرثرة بالهزيمة إلى مسرح الإشادة بالنصر ، أو باختصار من مسرح « الهزيمة » إلى مسرح « المعركة » ! ..